

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

”يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر و انثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم“

للشيخ المفتى الأعظم أمين الحسينى

أرى لزاما على فى مستهل كلمتى ان أتوجه بخالص الشكر لفخامة الزعيم الاسلامى الغازى المشير محمد ايوب خان برعايته هذا الاحتفال المبارك و افتتاحه اياه بتلك الكلمة الرائعة التى دلت على ما يتمتع به فخامة الرئيس الباكستانى من الايمان و صدق الغيرة على الاسلام و على كل ما يعود على الامة الاسلامية بالخير و العزة .

وانا نضرع اليه جل و علا ان يوفقه لعمل الخير للاسلام و المسلمين. و انثى على هذه الكلمة بتوجيه الشكر الخالص لحضرات القائمين على معهد البحوث الاسلامية فى باكستان الذين دعوا الى هذه الندوة الاسلامية العالمية و اتاحوا فرصة هذا اللقاء بين نخبة من علماء الاسلام و قادة الفكر فى أقطاره المختلفة للاشتراك فى تمجيد ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم بالقاء المحاضرات القيمة عن فضائل القرآن و ما حفلت به أحكامه و توجيهاته من القواعد و المبادئ الرشيدة لاصلاح الفرد و الجماعة و الدولة و البشرية جمعاء. و من فضل الله تعالى على مؤتمر العالم الاسلامى - الذى يعمل فى خدمة الاسلام و قضاياها باستمرار - ان قوبلت دعوته الى الاحتفال بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم

بالاستحسان و التجاوب في جميع البلاد الاسلامية ، و ان كانت جمهورية باكستان الاسلامية من أعظم بلاد الاسلام حظا من الاحتفال بهذه الذكرى المجيدة على الصعيدين الرسمي و الشعبي. و لا ريب ان باكستان من أجدر البلاد بهذا الفضل و اولها بالنصيب الاوفى من تمجيد هذه المناسبة الاسلامية الخالدة لآن باكستان انما قامت منذ البداية على اساس الاسلام ، و على أن تكون دولة اسلامية وفق احكام القرآن و هدى رسول الله عليه الصلاة و السلام .
أيها الحفل الكريم :

اننا نجتمع للاحتفال بذكرى أعظم حدث في تاريخ الانسانية ، ذكرى الكتاب الكريم الذي أنزله الله على خاتم انبيائه ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد .
اننا نلتقي هنا للكشف عما نستطيع من محاسن القرآن و ابراز ما في نظامه و احكامه من الروعة و المثالية و ابلاغ ذلك الى بنى الانسان في مشارق الارض و مغاربها

اننا بهذه الاحتفالات نوجه دعوة خالصة حارة الى العالم الحائر المتعثر في النظم القاصرة و المغرقة الى استنقاذ نفسه باتخاذ روح القرآن الكريم قاعدة للنهضة و اساسا للإصلاح و دستوراً للحكم و منهاجاً للحياة "و من أحسن من الله حكما لقوم يوقنون".

و لعلنا نساهم بذلك في صد الحملات الآثمة و الغارات المنكرة التي ما فتئت توجه الى كتاب الله و تبث الريب و الشبهات في صحة شرائعه و قوانينه و يرصد لها أعداء الاسلام و أعداء انفسهم في الواقع أضخم الجهود و الأموال و يسخرون فيها مع الأسف الشديد كثيرا من المنتسبين الى الاسلام و القابضين على ازمة المسؤولية في بعض بلاد المسلمين ، محاولين صرف الناس عامة و المسلمين خاصة عن - كتاب الله الكريم - بشتى الوسائل و الأساليب التي نذكر

منها على سبيل المثال : اولا : صياغة مناهج التعليم في مراحلها الاولى بحيث اسقطت حصص القرآن الكريم او جعلتها ضئيلة هزيلة لا تحقق الارتباط الوثيق بين ناشئة البلاد و كتاب الله المجيد

ثانيا : الغاء المكاتب والمدارس التي كانت مختصة بتحفيظ القرآن الكريم وكانت تخرج مئات الالوف من الحفاظ في كثير من ديار الاسلام.

ثالثا : الغاء المزايا التي كانت تمنحها الدولة لحفظة القرآن و التي كانت تؤدي الى تشجيع الشباب على استظهار كتاب الله تعالى .

رابعا : تقليل الحصص المخصصة لدراسات اللغة العربية بحيث أصبح خريجو المدارس والجامعات محرومين من فهم كتاب الله و التعرف الى احكامه بل قاصرين عن حسن تلاوته بسبب ضالة محصلهم من اللغة العربية.

خامسا : وضع الخطط الماكرة لتغليب اللغة العامية و اللهجات المحلية على الاذاعات و الاغانى و الافلام و حتى على خطب كثير من كبار المسؤولين و الزعماء ، و في ذلك ما لا يخفى من قطع الصلة من الشعوب الاسلامية و بين كتاب الله الذى انزل بلسان عربى مبين.

سادسا : المحاولات المسمومة التي بذلت - و أصابت غير قليل من النجاح مع شديد الأسف - لكتابة اللغات الوطنية بحروف اجنبية بدلا من الحروف العربية القرآنية ، تلك المحاولات التي كانت اصابع الاستعمار توجهها بقصد سلخ شعوب الاسلام و حكوماته عن تاريخها المرتبط بهذا الدين الحنيف و عن صلاتها الوثيقة بالاعباد الاسلامية .

و الآن أنتقل الى موضوع البحث الذى اسهم به فى هذه الندوة و هو موضوع "الاساس الاسلامى للتعاون العالمى" و لا أجد مفتاحا

ادخل به الى رحاب هذا البحث خيرا من الآية الكريمة "يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير".

ان الله سبحانه وتعالى يرسى بهذه الآية أصح قاعدة للتعاون بين البشر كافة فيقرر ان العالم كله بجميع أجناسه و ألوانه و لغاته مخلوق من اصل واحد و انه ، جل شأنه ، جعلهم أمما شتى و شعوبا متعددة ليقوم بينهم التعارف و التاخى لا على اساس تشابه في اللون و الجنس و النسب او تلاق على المصلحة و المغنم بل على اساس التقوى التى هى أعظم حافر على فعل الخير و اسداء المعروف و تجنب الشر و الاذى و العدوان.

وعلى ذلك يمكن القول بأن الاساس الاسلامى للتعاون العالمى هو الوحدة الحقيقية بين شعوب العالم و قبائله كما نوه بها القرآن الحكيم فى هذه الآية الشريفة و تفصيلا لهذا الاساس المتين نذكر انه يتألف من جملة عناصر:

العنصر الاول - وحدة بنى الانسان

ان الاسلام يعتبر الناس جميعا امة واحدة بصريح قول الحق سبحانه "ان هذه أمتكم امة واحدة و انا ربكم فاعبدون".
وما أيسر ما يقوم التعاون فى أكمل صورة متى رجع المجتمع البشرى الى هذه التوجيهات الاسلامية السمحة التى تقر الوحدة الانسانية فى مظاهر شتى نذكر منها :-

اولا : وحدة الاصل و المنشأ :

يقرر الاسلام الحنيف وحدة الاصل و المنشأ للخلق جميعا فيقول الله عز و جل "يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة"، و يزداد هذا المعنى وضوحا فى قول الرسول الكريم صلوات الله عليه

وسلامه ”كلكم لا آدم ، و آدم من تراب ، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على اسود الا بالتقوى“.

ومن نتائج الايمان بهذه الوحدة ان يشعر الانسان حيث كان يقربه من اخيه الانسان و أن يرى نفسه مدفوعا الى التعاون معه فيما يعود على الجميع بالخير و يبعدهم عن اسباب الخصام و الشقاق .

ثانيا : وحدة العبودية لله و الحاجة اليه :

و من مظاهر الوحدة الانسانية – التي يقرها الاسلام – اتحاد البشر جميعا في انهم عباد الله وحده و انهم في حاجة مستمرة الى احسانه و فضله .

و اول ما نلمس من دلائل هذه الوحدة قول الحق سبحانه في مفتتح اول سورة من كتابه المجيد ”الحمد لله رب العالمين“ اشعارا بانه ليس رب امة دون امة و لكنه رب العالمين أولهم و آخرهم ، انسهم و جنهم ، أبيضهم و اسودهم ، يتحدثون جميعا في ان الله تعالى هو ربهم اجمعين ، كما يتحدثون في افتقارهم اليه و استمدادهم نعمة الحياة و الرزق منه ”يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم ، هل من خالق غير الله يرزقكم من السموات و الارض“.

ثالثا : وحدة الخطاب بالرسالة المحمدية :

و توكيدا لوحدة بني الانسان في نظر الاسلام جاءت الرسالة المحمدية ، على صاحبها أفضل الصلوات ، منهاجا كاملا لانقاذ البشرية كلها من الشرور و الفساد بنقلها نقلة الى الخير و النور و الحب و السلام .

اسمعوا الى قوله تعالى ”كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور“ و الى افتتاح سورة الفرقان بالآية الشريفة ”تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا“.

ويجربى هذا المجربى قول الحق سبحانه ”و ما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا و نذيرا“، بل تتمخص الرسالة المحمدية لاشاعة أرفع معانى الخير ، و انها رسالة الرحمة للخلق اجمعين بقوله تعالى ”و ما ارسلناك الا رحمة للملمين“، و بالحديث النبوى الشريف ”انما انا رحمة مهداة“.

العنصر الثانى – شمول التعاون فى الاسلام لمختلف الاجناس والبلاد والأديان

ليس التعاون الذى يقوم على اساس الاسلام مقصورا على جماعة من الناس ولا محصورا فى كتلة من الامة والشعوب التى تربط بينها مصالح ذاتية كثيرا ما يكون ورائها الاضرار بمصالح غيرها من اعضاء الجماعة الانسانية ، بل لا يقف التعاون المؤسس على الاسلام عند حد المصالح الاقليمية لامة الاسلام نفسها و انما يتسع نطاق التعاون فى المفهوم الاسلامى حتى يظل بامنه و رحمته كل من يستجيب لدعوة التعاون و السلام من دول العالم و شعوب الارض جميعا .

١ – فقد جاءت رسالة الاسلام تؤكد الوحدة بين الرسالات السماوية جميعا و تدعو انبياء الله كافة الى أن يتعاونوا فى الانتفاع بما اتاهم من الطيبات و ما أمرهم به من صالح الاعمال حيث يقول الله تعالى ”يا ايها الرسل كلوا من الطيبات و اعملوا صالحا“، ثم يختم بتذكيرهم بالوحدة الفعلية بين أمتهم و شعوبهم فيقول ”وان هذه امتكم امة واحدة و انا ربكم فاتقون“.

٢ – و تتمعين رسالة الاسلام فى ابراز هذه الوحدة بين أتباع الرسالات السماوية بصورة خاصة فتجعل الايمان بالاسلام و القرآن و محمد عليه السلام مشروطا بالايمان بكل نبي سبق و كل كتاب نزل كما تصرح به الآية الكريمة ”قولوا آمنا بالله و ما أنزل الينا و ما أنزل الى ابراهيم و اسماعيل و اسحق و يعقوب و الاسباط ، و ما أوتى

موسى و عيسى وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون“ .

٣ - ويرتفع الرسول محمد عليه الصلاة و السلام بفكرة التعاون العالى حتى يدعو الى قيام الاخوة بين عباد الله جميعا بكل ما تتسع له كلمة عباد الله من أقوام و أجناس و اديان حيث يقول فى نهاية حديث طويل ” لا تباغضوا و لا تحاسدوا و لا تدابروا و كونوا عباد الله اخوانا“ .

٤ - ولنستمع الى الحديث الشريف ”الخلق كلهم عيال الله و أحبهم اليه أنفعهم لعياله“ . فاذا هو دعوة حارة (قوية) الى تحقيق الخير و النفع للخلق جميعا لا للأمة الاسلامية وحدها و تقرير واضح انه بقدرما يقدم المرء او الأمة من المنفعة للخلق من حيث هم خلق بقدر ما يكون باذل هذه المنفعة اهلا لاعلى مراتب الفضل و هى محبة الله سبحانه .

٥ - و من المناسب ان نختم الحديث فى شمول التعاون الاسلامى بكلمة عالم مسيحي أوروبى فى سعة أفق التعاون الاسلامى هو المسترجم الانجليزى الذى يقول فى كتابه ”حيثما يكون الاسلام“ (و لكن الاسلام ما زال فى قدرته ان يقدم للانسانية خدمة جليلة سامية ، فليس هناك أية هيئة سواه يمكن ان تنجح نجاحا باهرا فى تأليف الاجناس البشرية المتنافرة فى جبهة واحدة اساسها المساواة فالجامعة الاسلامية العظمى فى افريقيا و الهند و اندونيسيا ، بل تلك الجامعة الصغيرة فى الصين ، و تلك الجامعة الضئيلة فى اليابان ، لتبين كلها ان الاسلام ما زالت له القدرة التى تسيطر كلية على أمثال هذه العناصر المختلفة الاجناس و الطبقات) و لنسمع الى هذا العالم المسيحي يختم عبارته بهذه الشهادة الرائعة ”فاذا ما وضعت منازعات الشرق و الغرب العظمى موضع الدرس فلا بد من الالتجاء الى الاسلام لحسم النزاع“ .

العنصر الثالث - الاسلام يحارب موانع التعاون

والاسلام اذ يغرس مبادئ التعاون ويحرص على تعميقها في النفس الانسانية و المجتمع العالمى يبادر الى تنقية الكون من النزوات والعوامل التى تمنع من قيام التعاون او تضع في طريقه العراقيل . و آية ذلك :-

اولا : اسقاط التفاضل بالانساب :

وقد أسلفنا طائفة من الآيات التى تشعر الناس جميعا بوحدة النسب فيما بينهم و نزيد هنا الحديث النبوى الشريف ”ان الله أسقط عنكم نخوة الجاهلية و تعاضمها بلا باه و الاجداد - لا فضل لعربى على أعجمى و لا لأبيض على أسود الا بالتقوى“ .

و يبلغ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب غاية الفهم و التنفيذ لهذا التوجيه النبوى حين ينتصف لابن القبطى المصرى من ابن امير مصر عمرو بن العاص الذى ضرب المصرى و تطاول عليه و هو يقول ”انا ابن الاكرمين“ فاذا أمير المؤمنين يسلم الدرة للغلام المصرى و يوطى له رأس ابن الأُمير ثم يقول ”اضرب ابن الأكرمين“ حتى اذا انتصف الغلام التفت عمر الى أمير مصر و هو يقول ”يا عمرو متى تعبدتم الناس و قد ولدتهم أمهاتهم أحرارا“ .

ثانيا : تجنب العصبية الدينية :

و يأبى الاسلام أن يكون التمسك به و الحرص على نشره باعثا على عصبية دينية تبغض الى صاحبها من ليس على مذهبه او تدفعه الى حرب و قتاله فتصرح الآية الكريمة ”لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى“ و يرسم الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم طريق الدعوة و التبشير فيقول ”ادع الى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة“ و يقول سبحانه ”و لا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هى أحسن“ . بل يندب القرآن الأئمة الاسلامية للتعاون مع غير المسلمين

إذا لم يكونوا معتدين فيقول: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم و تقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين".

ثالثا: اسقاط العصبية القومية :

وهذه العراقل التي تعوق طريق التعاون بين الناس ، ينهى الله عنها بقوله تعالى "يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم".

رابعا: تحريم الاعتداء و الظلم :

و الآيات في ذلك كثيرة نذكر منها قوله تعالى "و لا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين"، وقوله جل شأنه "انه لا يفلح الظالمون".

العنصر الرابع - غاية التعاون في الاسلام

و نتحدث فيه عن عدة نقاط :

اولا: الاسلام والسلم :

ان اعم ما يهدف اليه التعاون المؤسس على الاسلام نشر السلام و تثبيت دعائمه بين الناس جميعا ، و آية ذلك :

١- اتحاد المعنى اللغوي لكلمتي الاسلام والسلام :

فان كلتا الكلمتين مشتق لغة من مادة سلم . فهما من أصل واحد . وان تسمية ديننا الحنيف بالاسلام دليل على ما تنطوى عليه طبيعة هذا الدين من حب السلام .

٢- اشتراك الاديان السماوية جميعا في الاسلام لله :

وتوكيدا لما سلف وصفت رسالات الانبياء جميعا بانها رسالة الاسلام فقد ذكر القرآن عن ابراهيم عليه السلام "ولكن كان حنيفا مسلما". و في دعاء يوسف عليه السلام "توفني مسلما و الحقني

بالصالحين، وفي ارشاد موسى عليه السلام لقومه ”يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين .“

وكان الاسلام غاية عيسى المسيح عليه السلام من دعوته لقومه ”قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله واشهد باننا مسلمون“ ومن هذه الآيات ونظائرها الكثيرة تظهر الآصرة الوثيقة بين الأديان جميعا واشتراكها في غاية السلام.

٣- السلام شعار الاسلام :

وقل ان يمارس المسلم عملا او تصرفا دون ان يجد فيه او حوله ما يذكره بالسلام ، فتحية اللقاء في الاسلام ”السلام عليكم“ و تحية الافتراق الاسلام ، و تحية المصلى لنيبه في التشهد ”السلام“ ، والخروج من الصلاة بالسلام ، والله تعالى من اسمائه السلام ، و ابرك ليالى المسلمين - و هى ليلة القدر - و صفت في القرآن بانها سلام حتى مطلع الفجر ، وكلمة الاسلام جواز الى مخالطة المجتمع الاسلامى ”ولا تقولوا لمن اتى اليكم السلام لست مؤمنا“.

٤- السلام غاية الاسلام :

ولتحقيق السلام بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالرحمة التى هى أعلى مراتب السلام ”وما ارسلناك الا رحمة للعالمين“ و قد أمر صلوات الله عليه بقبول السلام ممن اعلن الرغبة فيه و ان اسلف الخصومة والقتال ”وان جنحوا للسلم فاجنح لها .

وفي الحديث النبوى ”المسلم من سلم الناس من يده ولسانه“ خير وصف للمسلم بانه من اكبر دعاة السلام وتأيدا لهذا المعنى وردت نصوص وآثار كثيرة كقوله تعالى :

”ادفع بالتي هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم“ . و كالحديث الشريف (صل من قطعك واعف عن ظلمك و أحسن الى من أساء اليك) .

ثانيا : ضمانات السلام فى الاسلام :

ولما كان السلام العالمى من ارفع غايات التعاون الذى يقوم على اساس الاسلام فقد حصنته الشريعة الاسلامية بالضمانات التى تجعله حقيقة قائمة وتحمى صرحه من زعازع الاهواء والمطامع التى نشير منها الى اربع ضمانات :-

الضمانة الاولى :- رعاية الحرمات و الوفاء بالعهود

و اذا كان تحريم الاعتداء مبدأ عاما من المبادئ الاسلامية فقد خصص الاسلام عددا من الحرمات التى غلظ اثم المعتدى عليها ومنحها حصانة تمنع من المساس بها ومن ذلك :

١- حرمة النفس الانسانية فقد حرم الله تعالى أعظم التحريم ازهاق النفس الانسانية من غير حق فقال سبحانه "من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكأما قتل الناس جميعا ومن أحيها فكأما أحيى الناس جميعا".

و جاء فى الحديث النبوى الشريف "لو ان اهل السموات والارض اشتركوا فى دم امرى ظلما لا أخذهم الله به".

٢- حرمة المال : وقد حرم الله المال الا بحقه .

٣- حرمة المساكن : و يبلغ من حرمتها ان يمنع الله تعالى الدخول فيها فضلا عن تخريبها والاضرار بها - الا باذن صاحبها لقوله سبحانه "يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها" - الى قوله "وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم".

الضمانة الثانية :- الوفاء بالعهود فى الاسلام

ولا شك ان من اكبر نواقض السلام وموانع التعاون خرق العهود و النكث بالمواثيق . وقد جاءت شريعة الاسلام جامعة فى تقديس العهود و الزام الجماعة الوفاء بها للمسلم وغيره على السواء :

- ١- فمن المبادئ العامة في الاسلام ”يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود“، مع تقرير المسؤولية عن نكثها بقوله سبحانه ”ان العهد كان مسؤولاً“، ولقوله جل شأنه ”فمن ينكث فأنما ينكث على نفسه“.
- ٢- وليس الوفاء بالعهود مقصوراً على المسلمين فيما بينهم بل تجاوزهم الى الناس كافة.

ولا تزال (العهدية العمرية) وهي الأمان الذي اعطاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى النصارى حين فتح القدس مضرب الأمثال في ثبات الأمة الاسلامية على وفائها بعهودها مهما تنقلب الأزمان. وحتى المشركين الذين لا يتبعون رسالة ساهوية أمر الاسلام بصيانة عهودهم والتقيد بكل موثق يرتبط به معهم في قوله تعالى ”الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم احداً فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ، ان الله يحب المتقين“.

الضمانة الثالثة :- تحديد رسالة القوة والعزة في الاسلام

كثيراً ما تغر القوة صاحبها الى التطاول على الناس فتقوم الحروب و يخيم الشقاق على الجماعة الانسانية . و الاسلام قد فرض لاهله العزة بقول سبحانه ”ولله العزة و لرسوله و للمؤمنين“، و حفت تشريعات الاسلام بالتوجيهات التي تجعل من امته دولة قوية كما حدث ذلك في فترات كثيرة من تاريخ الاسلام . و لذلك حرص الاسلام على أن يحصن العزة التي يحققها لاتباعه من أن تكون سبيل بغى او فساد ، و حصر مهمتها في أن تقود الانسانية الى الخير و تهديها الى صراط الحق و الايمان ”كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله“.

و يقرر الله تعالى انه انما يهب النصر لعباده ليكونوا هداة خيرو دعاة أمن و محبة و سلام ”و لينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز- الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة و أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر و لله عاقبة الامور“.

الضمانة الرابعة - الالتزام بكف المعتدى

في هذه الضمانات كفالة لحمل المسلم فردا او دولة على صيانة السلام فمن عصي او امر الله و خرج عن هذه المبادئ و يجب على الجماعة الاسلامية ان تستخدم القوة حتى تصده عن بغيه و ترده كارها او طائعا الى الحق فذلك قوله تعالى "فأصلحوا بينها فان بغت احداها على الاخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تنفي الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل و اقسطوا ان الله يحب المقسطين".

ثالثا : حدود السلام و التعاون في الاسلام

قد يسبق الى بعض الازهان من استيعاب هذه الكثرة الكاثرة من ادلة التعاون في الاسلام و هذه النصوص الوافرة الآمرة بالسلام ان الاسلام يريد السلام على اية صورة كان و يدعو قومه و الناس جميعا الى القبول به مهما تكن الظروف و الاحوال و لو كان معناه الاستخزاء و الاستسلام.

و نبادر الى نفي هذه الشبهة بكل قوة لنثبت أمرين جوهريين لا بد من الاحاطة بهما لتفهم حدود التعاون و السلام في الاسلام :

الامر الاول - نوع التعاون الذي يريد الاسلام

و قد تكفل القرآن الكريم بتحديد نوعية هذا التعاون بقوله تعالى "و تعاونوا على البر و التقوى" كما حذر من الاسترسال و التوسع في تطبيق هذا التعاون على غير الاساس الرباني فقال سبحانه (و لا تعاونوا على الاثم و العدوان) ثم أقام في النفس الانسانية حصانة من الانحراف بمعنى التعاون عن غايته المطلوبة فجاء ختام الآية الكريمة "و اتقوا الله" دعوة قوية الى التقيد بالمثل و القيم الصالحة في تحقيق التعاون بين المدعوين اليه .

و من ذلك يتضح ان الاسلام :

انما يريد التعاون سبيلا لنشر المبرات و جلب المنافع الى الجماعة الانسانية كما يريده تأزرا بين الخلق على الصلاح و الاصلاح .
وان الاسلام لا يسمح بقيام التعاون لمجرد التناحر على الآخريين او الاستعلاء في الارض او جلب الاذى الى الناس .

بل ان التعاون محظور بين جماعات المسلمين انفسهم ضد المخالفين في الدين و الوطن اذا كانوا في معاهدة او هدنة مع جماعة من المسلمين فذلك قول الله تعالى ”وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم و بينهم ميثاق“ .

و تطبيقا لذلك أقر النبي صلى الله عليه وسلم معاهدة التعاون و التناصر بين قبيلة خزاعة و بين عبد المطلب بن هاشم و ولده باضافة شرطين اثنين :-

اولا : الا يعين خزاعة اذا كانوا ظالمين و الثاني : ان ينصر خزاعة اذا ظلموا . كما وردت الآثار باقراره لحلف الفضول الذي عقد في الجاهلية في دار ابن جدعان و شمهده هو قبل الاسلام بقوله صلوات الله عليه (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلقا ما احب ان لي به حمر النعم ”وما ذلك الا لان هذا الحلف كان ينص على (رد المظالم و انصاف المظلوم من الظالم) .

الامر الثاني - طبيعة السلام في الاسلام :

لا يجوز ان يفهم السلام في الاسلام على انه تجنب القتال و الاستسلام للواقع مهما تكن الاحوال . فمن بين صور السلام سلم رخيصة دنية يرفضها الاسلام و هي التي تقوم على حساب مصالح المجتمع الانساني و على حساب المبادئ و المثل العليا كما ارادها الله لنبي الانسان .

ان هذا النوع من السلم يحذر الاسلام منه و يشجع أمته على رفضه و التمرد عليه بقوله تعالى ” و لا تهنوا و تدعوا الى السلم و انتم الاعلون و الله معكم“ بل ان الاسلام ليفرض الجهاد و القتال في بعض الاحوال لضمان السلام الذى يقوم على اسس عادلة و يصون حقوق الضعفاء امام الاقوياء .

أجل يفرض الاسلام استمرار الجهاد لتحقيق كلمة الله فى الارض اى لتحقيق النظام الصالح ، و هو يلزم جماعة المؤمنين الا يهادنوا قوة ظالمة على وجه الارض سواء كانت هذه القوة فردا يتجبر على قومه او دولة تستبد بسائر الدول و الشعوب . و اليكم نماذج من دعوة الاسلام الى مقاومة الظلم و الثورة عليه فى مختلف الاوضاع و الحالات :—
اولا : مقاومة ظلم الافراد :

و لا أدل على وجوبها فى الاسلام من الحديث النبوى الشريف ”ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يضرخوا على يديه اوشك الله ان يعمهم بعذاب من عنده“ .

فهذه دعوة صريحة الى رفض مسألة الظالم و الزام دينى بوقفه عن ظلم و انذار بقوارع النكال الالهى تحل بالجماعة اذا قصرت فى ردعه و زجره .

ثانيا : وجوب القتال لدفع الاذى عن المستضعفين :
و فى ذلك يقول الله جل جلاله ”و ما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله و المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها و اجعل لنا من لدنك وليا و اجعل لنا من لدنك نصيرا .

كلمة الختام

و بعد فان دعوة الاسلام الى السلام ، سلام الناس أجمعين ، دعوة

خالصة ، و عقيدة صميمة ، ولو عرف الناس حقيقة الاسلام و صدقوا دعوته الى السلام العالمى ، و عرفوا ايضا ما فى الاسلام من غايات سامية ، و أهداف عالية و أخلاق كاملة و دعوة شاملة لخير البشرية جمعاء ، و ما يدعو اليه من مكارم الاخلاق ، و العدل و الاحسان ، و الرحمة و الرفق و الخير و المعروف ” و لتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و اولئك هم المفلحون“ . لو عرف البشر ذلك حق المعرفة ، و انكشفت عن العيون حجب الجهل و التعصب و التشويه و الافتراء ، لوقفوا تلك الحملات المسعورة و الجهود الهدامة الشريفة الرامية الى تشويه الاسلام ، و تنفير الناس من الخير العظيم الذى يحتويه ، و لعضوا عليه بالنواجذ و لحلوا بما فيه من الهداية و الحكمة ، و العدالة الاجتماعية ، و العدل الكامل ، و السلام الشامل جميع مشاكل البشرية . و لكنهم لا يعلمون . هداانا الله جميعا و هداهم الى النور و الخير و الحق المبين .

و لا بدلى من القول ان دعوة الاسلام الخالصة الى السلام العام ، لا تعنى بأى شكل من الاشكال الرضوخ الى الظلم ، و الخضوع و الاستخذاء للظالمين . فان الله تعالى لا يقبل لعباده الظالم ، و كلمة الظلم مشتقة من الظلمة و الظلام ، و انما ليخرج الناس من الظلام الى النور . و لن يتم سلام فى العالم ما لم يرتفع الظلم و البغى و العدوان . و ان المظلوم الذى يقبل الظلم ، أجدر باللوم من الظالم نفسه ، لانه بذلك يشجع الظالمين . قاله تعالى يقول : ” لا تظلمون و لا تظلمون“ فلا يجوز للمسلم ان يرضخ للظلم مهما كان الحال . و على المسلمين أجمعين ان يقاوموا الظلم حيث كان ، و ان يجاهدوا لدفع الظلم عنهم و عن بلادهم قاطبة . و ان الجهاد فرض على كل مسلم و مسلمة ما دام للاعداء موطئ قدم فى بلاد المسلمين . و على البشر أجمعين ان يقاوموا الظلم حيث كان لئلا يتمتعوا بالسلام العالمى .